

مع الدكتور محمد اقبال في نجواه الصوفية :
انساناً ومفكراً وثائراً اجتماعياً

صلة إلى من مع الحب

نذير الحسامي

ألقيت في الاحتفال الكبير الذي أقامته السفارة الباكستانية بدمشق تحت رعاية وزارة الثقافة والارشاد القومي في ٩ و ١٠ و ١١/١١/١٩٨٥ في قاعة مكتبة الأسد في ذكرى مرور ١٠٨ سنوات على ولادة المفكر المناضل شاعر الباكستان الكبير وفيلسوفها الاسلامي الدكتور محمد اقبال .

شرب الصدى ليلي وليل الحادي
لأكون قبل الصبح أول غادي ؟
كأسي ولم يسأل سواك فؤادي
كفأ ولم أعط السقاة قيادي
وعرفتني فيه أقلل زادي
يوماً بعيداً عن مذك الهادي
وأرى نجادي سهلة بوهادي
ووراء باصرتني طيف منادي
فامسح رقادي بالهوى وسهادي
ان لم يصبها منك رش مداد
وفضحت ذلي واتهمت عنادي
يا رب شرّق بي الغداة بوادي
أنكرت فيها ضلتي ورشادي !
وهاجة الأصدقاء والانشاد
فرجعت من موتني الى ميلادي

أبيل رمل فلاك غلّ الصادي ؟
وسألت في مسراي : تدنيني الرؤى
يا رب لم أملاً بغيرك في الهوى
ويدي لم أبسط لغيرك منهما
دربي اليك عرفته صعب الخطا
ضاع السرى يا رب ان كان السرى
أطوي خفيف الزاد وعمر المرتقى
قلبي على شفتي وبين جوانحي
ناداك : يا رب استجار بك الهوى
محيث أساطيري وبان ضلالها
سبّحت باسم علاك وحدك في الهوى
الليل غربني بوادٍ والضحي
ظلم وأنوار قطعت غمارها
حتى لقيتك في ضميري جذوة
قدسية الايعاء لمت غربتي

وزكا بها عقلي وضاء مرادي
ووجدتني حراً وفيك معادي
وسهرت أشدو واللظى بسوادي
حطمت في صبواتهم أصفادي
للعقل غير سلافتي من زاد
كأس المحبة ملء ليل صادي !
فاسلخ بياضي في الوري وسوادي

★ ★ ★

يا من ترفق وصله ببعادي
شغفا وأطلق في الرؤى أمادي
سيمائه أبداً صنيعك بادي
يا من يبرعم خلف كل جماد
فنداك للأشواك والأوراد
نسباً يعز لحاضر أو بادي
أغرق بها شوقي الى الأزياد
وجدأ عرفت به ظما الوراد
قتال كل هوى وكل وداد
يا من دجاك عوارف وأيادي
حرب لبعض والنفوس عوادي
نهشاً بأظفار شرعن حداد
هبة فباعوها بسوق (مزاد) !
لهم فكان سلاسل استعباد !
أدنا الصديق له بكيد أعادي ؟ !
بيضاً يحاك لها ثياب حداد
مهج الأسارى خنجر الجلاذ

★ ★ ★

يا من سمعك كل شك شادي
في الأرض مغلبهم وفي الأكباد
شرراً وراء البرق والارعاد !
من خنق نبراس وحرقت مهاد
أرأيت آلهة بلا عبادة ؟
أن يصلبوها والمسيح الفادي
للكافرين أراه بالمرصاد

هدأت بها روحي وقر غليلها
ورأيتني حياً ونبضك في دمي
وغدوت أرقص والسعر معانقي
ديني جنون العاشقين وانني
ومن الجنون غرفت حتى لم أدع
نادمت انساني فسقيتها
نسبي الى الانسان فخر أرومتي

يا نائي الأبعاد آنس وحشتي
سلسل تباريحي وهدهد عبرتي
ما كان أو ما لم يكن يا رب في
لو شئت نظرت الرمال حدائقاً
الشوك خلقك يجتديك كورده
أكرمت تقوى الناس لم تعدل بها
جدواك مزبدة فهبني قطرة
كاسي بليك من يديك شربتها
هبني غوى أهل الهوى في عالم
غفرانك اللهم غم بنا الدجى
الناس يا رب العوالم بعضهم
متكالبون على فرائس بطشهم
أبدعت للأحياء كل بدبعة
أنبت للناس الحديد محرراً
وتلفت الانسان يسأل حبسه :
بماتم العدوان أهدرت الرؤى
جار القوي على الضعيف وحز في

أدعوك جبّار السماوات العلى
الظالمون بكل أرض أنشبوأ
ضجت ببغيهم الشعوب ألم يروا
وثنية الشيطان فيما زينوا
عاثوا ذئاباً في الورى وتألّهوا
كفروا بنعماء الحياة وأقسموا
يا مرسل الطوفان سيلك في الثرى